الفصل الثاني:
الدين الكامل

يعزو المبشرون المسيحيون انتشار الإسلام السريع في غرب إفريقيا والسنغال والكاميرون وساحل العاج إلى أسباب، منها بساطة تعاليمه وخلوها من التصورات الغيبية الغامضة المعقدة. وإذا كان هذا صحيحاً، فلا محالة إذن أيضاً أن يكفي فصل واحد من هذا الكتاب لتصوير هذا الدين.

ولكي يكون المرء مسلماً، فلا بد من توافر شرطين اثنين فيه: الأول: الإيمان بإله واحد، مع تنزيهه عن الجنس، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، آثاره الملموسة في العالم تدل على وجوده[1]. الشرط الثاني: الإيمان بما أنزله الله من الوحي، كما هو متجلٍ في الحنيفية البيضاء من ابراهيم إلى محمد ﷺ.

إن المسلمين يؤمنون بوجود الله، لأن وجوده ثابت لهم بثبوت وجود الوجود أو العالم، إذ لكل معلول علة ولكل وجود مُوجِد أوجده، وهذه حقيقة أولية جلية حادثة فعلاً، رغم إدراك المسلمين أن النظر العلمي لا يطمئن إلى البرهنة بواسطة المحسوس الماديّ، على الغيبي غير المادي المحجوب، خاصة لمعرفتهم أن المنطق البشري ليست لديه الصلاحية المطلقة للتحقق والتثبت وإصدار القول الفصل في مسائل الغيب هذه.

في الشطر الأول من الشهادة التي ينطق بها المسلم عن اعتقادٍ يؤكد إيمانه بالله بقوله: «أشهد أن لا إله إلا الله»، وننبه تنبيهاً إلى أن المسلم لا يَشْهدُ اللهَ... وإنما يشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، فينزّه الله تعالى عن الصاحبة

obeikandi.com

والولد والشريك والتثليث وكل شكل من أشكال الشرك بالله، وفقاً لسورة الإخلاص ﴿**قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يَلِد ولم يُولد. ولم يكن له كُفواً أحد**﴾ (سورة الإخلاص).

فبلفظِ المسلم للقسم الأول من الشهادة (أشهد أن لا إله إلا الله) يؤكد اعترافه يقيناً بوحدانية الله المطلقة. الوحدانية أو التوحيد، كما يعرفه الإسلام، ينسحب على العلاقة بين الفكر والمادة، وبين الروح والجسد، والعلم والدين، والإنسان والطبيعة، وبين أعضاء الأمة الإسلامية التي خلقها الله فقال سبحانه: ﴿**إن هذه أمتكم أمة واحدة، وأنا ربكم فاعبدون**﴾ (الأنبياء، الآية ٩٢).

مع هذا يُعْتَبَرُ المسلمون الموحدون، من وجهة النظر الفلسفية لنظرية المعرفة «لاأدريين» إذا تناول البحث ذات الله وطبيعته وكنهه سبحانه، وأفعالَه وما هو فيه من شأن، فهذه مسائلُ لا يخوض فيها المسلم، أي إنه فيها «لاأدريٌّ»، وقصارى الجهد أن يجيب لاجئاً إلى تعريفات سالبة أي تقوم على النفي، فتنفي عن الله كذا وكذا، مثلاً: الله ليس محدوداً ببداية أو نهاية، أو مثل: يستحيل كونه غير موجود.

كذلك يعتقد المسلم أنه لا يمكنه أن يهتديَ لولا هدايةُ الله، إذا تُرِكَ للطبيعة وحدها يستهديها لذا يؤمن بضرورة الوحي لمعرفة الهُدَى من الضلال، والحقُ في جانب المسلم استناداً إلى دراستنا لقوانين الطبيعة.

ثم إن المسلمين يؤمنون أن الله بَيّنَ لعبيده حقًّا طريق الهدى، وذلك عن طريق أنبياء التوحيد المرسلين، مثل إبراهيم وموسى وعيسى، وختم الله هذه الرسالات بالقرآن ﴿**هُدًى للناس**﴾ والذي نَزَّلَهُ على محمد خاتم النبيين والمرسلين، كما يشير إلى ذلك القرآن الكريم في سورة الأحزاب، الآية ٤٠: ﴿**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم، ولكن رسول الله، وخاتم النبيين، وكان الله بكل شيء عليما**﴾، لهذا يؤكد الشطر الثاني من الشهادة أن محمداً رسول الله، وهذا الشطر لازم كل اللزوم لإتمام الشهادة أما ختم شيءٍ أو أمرٍ فمعناه، عند الحديث عن الوحي، أنه تم واكتمل.

هذا الكمال والإتمام لم يكن متوافراً قبل محمد، بالرغم من إبلاغ موسى لرسالة اللّه، وبالرغم من إبلاغ عيسى كذلك، فبقيت الحاجة بعد عهدهما ماسة إلى الإكمال، وكانت هناك إمكانية ـ في عهد الرسول ـ لتحقيق ذلك الإكمال.

أما الحاجة إلى الإكمال والتقويم، فلزمت لخروج اليهود والنصارى على الطريق المستقيم، في اعتقاد المسلمين، فاليهود زعموا أن بينهم وبين اللّه عهداً، فهم شعبه المختار، (الذي لن تمسه النار إلا أياماً معدودة)، والنصارى فقد زعموا أن عيسى ابنُ اللّه المماثلُ له في طبيعته الإلهية.

وأما توافر الإمكانية، فذلك أن التطور البشري في القرن السابع، سمح بنسخ المعايير السابقة غير المناسبة نسخاً نهائيًا، لتحل محلها المعايير الشرعية التي نزل بها الوحي من عند اللّه[٢].

في ضوء هذا نتبين المغزى العميق للآية الثالثة من سورة المائدة، فقد نزلت تلك الآية الكريمة في اليوم التاسع من ذي الحجة للعام العاشر الهجري الموافق عام ٦٣٢ الميلادي، أي قبل وفاة الرسول بواحد أو اثنين وثمانين يوماً، والمؤذِنة بانتهاء «مهمة» الرسول في أداء الأمانة وإبلاغ الرسالة: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾ صدق الله العظيم.

ومعروف أن سورة المائدة ذاتها نزلت في الثلث الأخير من القرآن، إرهاصاً بأن الرسالة كملت وكلمة مسلم والمؤنث مسلمة اسم فاعل مشتق من الفعل أسلم، أما حروفه المجردة في (س ل م) فتعني السلم والسلامة، وكذلك التسليم للّه، الذي تفيده الأفعال المزيدة من سلم وسلم... فالمسلم على هذا يلتمس السلامة والتسليم للّه، والقرآن يؤكد هذا المعنى مراراً وتكراراً... ويعرِّف يوحنا سوكولوفسكي إس جي الإسلام تعريفاً صادقاً مثالياً مستنداً إلى المادة اللغوية بقوله: «إنه الإسلام الذي يدعو إلى السلام والسلامة، لا يضار أحد في نفسه أو صحته أو ماله أو غير ذلك...»[٣].

ونرى أن هذا سبب إطلاق لفظةِ مسلم على أشخاص سبقوا مولد الرسول، وسكنوا البوادي أو غيرها ملتمسين العزلة للتحنّف، مسلمين وجهَهم للّه رب العالمين حنفاء غيرَ مشركين به، ومنهم إبراهيم وموسى وعيسى والعرب المتحنفون في البادية قبل مبعث الرسول.

أما اليوم، فتصف كلمة مسلم الإنسانَ الذي يلتمس سلامته بإسلامه أمورَه للّه ويجد هذه السلامة في هَدْي القرآن الذي يبين له حدود اللّه، والذي يحوي غير المنسوخ من الكتب السماوية السابقة على الإسلام. هكذا يلتزم المسلم الحق بالوصايا العشر الواردة في التوراة، وبالإيثار وحب الآخرين الذي ألحّ عليه وأوصى به الإنجيل (في العهد الجديد)، وهو بعد ذلك يؤمن بالأصول الست التي يؤمن بها اليهودي والمسيحي الملتزمان، وذلك كما بيّنها القرآن لنا في سورتي البقرة، الآية ٢٨٥، والنساء، الآية ١٣٦: (١) وجود اللّه، (٢) وجود مخلوقات غير مرئية لنا (الملائكة)، (٣) نزول كتب سماوية على بعض الأنبياء، (٤) إرسال اللّه رسله وأنبياءه إلى الأمم، (٥) القيامة والبعث يوم الحساب، (٦) القضاء والقدر.

بعد ذلك ينفرد الإسلام بأنماط سلوكية تتمثل في الفرائض والعبادات، وقواعد الإسلام الخمس إلى جانب الشهادة:

١) شهادة أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه.

٢) إقامة الصلاة (الصلوات المفروضة).

٣) إيتاء الزكاة.

٤) صوم رمضان.

٥) حج البيت من استطاع إليه سبيلاً[٤].

هذه القواعد الخمس وحدها كافية لبيان أن الإسلام دينٌ وعمل، عبادةٌ وأفعال، حتى الصلاة نفسها، وهي صلة روحية مصحوبة بالعمل أو الفعل المتجلي في المشاركة الجسدية لأداء هذا الفرض، الإسلام يلحّ على الإيمان والعمل معاً، كما في سورة العصر المكية: ﴿**والعصر، إن الإنسان لَفِي خُسْرٍ،**

إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتَواصَوْا بالحقّ وتواصَوْا بالصَّبر﴾ (سورة العصر).

في هذه السورة الكريمة تصوير موجز مصغر، واضح أشد الوضوح للمسلم البر التقي، فهو يعبد اللّه ويتوكل عليه، يعمل الصالحات ويوصي نفسه وغيره بها، دون تظاهر ورياء، أو مَنّ أو اتباع العنف، مُدِلاً بما يفعل.

فقد يخطىء المسلم فيذنب، دون أن يطعن هذا في كونه مسلماً، أما تارك الصلاة، الذي يقطع صلته باللّه، فليس من اليسير اعتباره مسلماً، فالصلاة المفروضة لا بد من أدائها، أما الأدعية والصلوات غير المفروضة (السنّة) فليست بفرض يحاسب المسلم على تركه، إنها تَقَرُّبٌ إلى اللّه بذكره كثيراً، وتسبيحه بكرة وأصيلاً، (ونحن نعلم كيف كان الرسول يتهجد ويقوم الليل، نصفه أو ثلثه...).

والقرآن ليس آخر الكتب المنزلة فحسب، بل هو أهمها على الإطلاق، وإن لم يكن هو الأصل الأوحد للإسلام. يبلغ عدد سوره (١١٤) مائة وأربع عشرة سورة، ذات (٦٢٣٦) ستة آلاف ومائتين وست وثلاثين آية معظمها مقفاة أو مسجوعة، وإن كان نَظْمُه ليس بالشعر ولا بالسجع، ولا يخضع لترتيب حسب الموضوعات، وقد نزل على محمد ﷺ مُنَجَّماً في مكة ثم المدينة بين عامي (٦١٠ و ٦٣٢).

والمسلم يؤمن أن القرآن كلمة اللّه، وأنه ليس مخلوقاً من المخلوقات، وأن اللّه أوحاه إلى محمد بلسان عربي مبين في تلك الفترة الزمنية المحددة، وهو معجزة الإسلام الوحيدة، والدليل القاطع والبرهان الساطع على نبوة محمد[٥].

ليس القرآن إذن كالعهد القديم أو الجديد، حيث يَقُصُّ فيهما شخص ما حديثاً غير مباشر عن شخص أو شيء أو عن اللّه... أما القرآن، فإن القاصَّ الذي يقص أَحْسَنَ القَصَصِ هو اللّه مباشرةً سبحانه، يُخْبِر اللّه فيه عمّن يشاء أو عمّا يشاء، كما يُعَلِّمُنا أن ننزّهه عن الجنس والنظير والشبيه... فيخبر عن نفسه بضمير المفرد المتكلم، وضمير المتكلم الجمع، وضمير الغائب المفرد، لكي نظل واعين بمسألة تَنَزُّهِه سبحانه عن التجسيد أو التشخيص.

قد يشك غير المسلم في موثوقية الوحي وأصالته، لكنه لا يستطيع الشك في أصالة القرآن وموثوقيته وأصالة نصوصه، فلقد تحداهم اللّه كما تحدى قبلهم كل المنكرين أن يثبتوا العكس، فعجزوا على ما هو متوافر لديهم من وسائل الدرس والنقد والمقارنة، وبَصَرٍ باللغة وعلومها، وغير ذلك، ولا يزال هذا التحدي قائماً، ولا زال عجزهم بيّناً، ولو وقع الإنجيل فريسة لهم، لمزقوه كل ممزق، ولم يُسَلِّموا له بالموثوقية والأصالة.

لقد يرفض المسلم مضمونَ القرآن، لكنه لا يستطيع إنكار إعجابه وتأثره بروعة النص القرآني وأَسْرِ نَظْمه المحكم، وبلاغته وفصاحته الآخذة بالألباب، والتي سحرت وبهرت حتى من لسانه أعجميّ، مثلاً جوته وفريدريش ريكرت[٦].

أما العربي الذوّاقة، فإن هذا النظمَ القرآني المتساوقَ، الغايةَ في الفصاحة والبلاغة، دليلٌ كافٍ على أن القرآن ليس من قول البشر، بيد أن المؤسف أن بعض المسلمين لا يفهم الآية الثامنة والثلاثين من سورة الأنعام **﴿ما فرَّطنا في الكتاب من شيء﴾** فهماً لا يتصل بالآية من قريب أو بعيد، فيزعم واهماً أن القرآن دائرة معارف أحاطت إحاطة موثوقةً موثَّقَةً بكل صغيرة وكبيرة لا في مجالات الديانات والأخلاقيات فحسب، وإنما في مجالات العلوم الطبيعية بتناولها للظواهر الطبيعية تناولاً علمياً.

أما ما يذهب إليه الفرنسي المسلم موريس بوكاي في كتابه عن الإنجيل والقرآن والعلوم الطبيعية، من أن المقارنة الممحّصة أثبتت له أن القرآن هو الكتاب السماوي الوحيد الذي لا تتعارض آياته مع ما أقره العلم الحديث، فإن هذه وجهة نظر أخرى، جديرة بالإعجاب[٧].

وأرى شخصياً أن تصوير القرآن الكريم لحمل المرأة، في سورة العلق الآية الثانية، قبل ألف وأربعمئة عام، والذي يؤيده العلم الحديث تأييداً تاماً، تصوير مذهل: **﴿خلق الإنسانَ من علَق﴾**، فَتَشَبُّثُ الخليةِ (بويضة الأنثى والحيوان المنوي معاً) وعلوقُها بجدار الرحم واتخاذها قراراً مكيناً لها، إعجاز بَيِّنَةُ القرآنُ قبل العلم الحديث بأكثر من ألف وأربعمئة عام!.

لقد استغلق فهم هذه الكلمة (عَلَق) على المفسرين حتى عهد قريب، واليوم وفي ضوء اكتشافات علم الأجنّة الحديث استقر فهم (العلق) فهماً علمياً صحيحاً، فكان القول الفصل المبين لصدق الوحي.

ومع أن القرآن لا يمكن ترجمته دون فقد جانب مهم من المعنى، يكفي سبباً لذلك طبيعة اللغة العربية ذاتها، والقادرة على صياغة جمل خبرية غير مرتبطة بالتقسيم الزمني الذي نعرفه وغير خاضعة له، وبسبب ثراء نظمه المتساوق المترابط المحكم، فقد أصبح الكتابَ الوحيدَ الذي تعددت ترجماته في لغة واحدة، أكثر من أي كتاب مترجم في العالم[٨]، وجاوزت طبعاته أعلى رقم لأي كتاب مترجم في تاريخ الطباعة، فضلاً عن أنه الكتاب الوحيد الذي يحفظه عن ظهر قلب مئات الآلاف من مختلف الأجناس (حتى من غير الناطقين بالعربية)، بل إن لغته العربية أصبحت حبلاً يعتصم به أكثر من مليار مسلم[٩] في العالم الإسلامي وحده: فتجد أن نحوه وتراكيبه اللغوية وألفاظه ومشتقاتِها أَسْدَت للّغة العربية الكثيرَ، فأصبحت اللغةَ الوحيدةَ، التي يستطيع الناطقون بها، المتوسطو الثقافة، أن يقرؤوا نصوصها التي يزيد عمرها عن ألف وأربعمئة عام، دون الحاجة إلى ترجمتها إلى «لغة عربية حديثة».

لقد أدت حرب الخليج اليوم، فيما أدت، إلى أن يوصف القرآن بأنه (السلاح السحري المعجز) على حد تعبير جريدة الوقت[*]، وإلى أن يحتل الصدارة في قائمة الكتب المبيعة عام ١٩٩١، محققاً رقماً قياسياً بذلك[١٠]، ولا يَظُنَّنَّ أحدٌ أن هذا يعني بالضرورة تطوراً إيجابياً، ذلك أن كثيرين يمكن أن يخرجوا منه بنتائجَ سلبيةٍ لعدم فهمهم للنص المترجم دون تفسير، يُبيّن لهم ما التبس عليهم، فضلاً عن أن القرآن ليس وحده الأساسَ المحتكمَ إليه في فهم الإسلام، لأن الرسول ﷺ أوتِيَ القرآن ومثله معه أي السّنّة النبوية، التي تشرح، فيما تشرح، المجمل وغير المجمل في القرآن، ليفقهه المسلم، فالسنّة هي المصدر أو النبع الثاني الذي لا غناء للمسلم عنه، وكذلك لمن يريد فهم القرآن والإسلام.

(*) أكبر مجلة أسبوعية لخاصة المثقفين الناطقين بالألمانية: (المترجم).

إن فهم القرآن فهماً سليماً يتطلب الإحاطة بأشياء، منها: قراءة تفاسيره لمعرفة أسباب النزول، أو مناسبة السياق والملابسات المتعلقة بالنص مباشرة، والإطار العام غير المنفصل عن الآيات المراد فهمها.

مع ذلك يلزم الانتباه الشديد إلى طبيعة التفسير والمفسر، ووجهات النظر الذي يحتفل بها، فهناك اختلافات تمليها المذاهب والمشارب والثقافة والغاية، فتفاسير الشيعة قد تخالف تفاسير السنّة، كذلك تفاسير الفقهاء المنصرفة إلى المعاني الحرفية، والظاهر، وتفاسير أهل الباطن، وتفاسير الصوفية غير تفاسير العقلانيين(١١)، ولا بد كذلك من الالتفات إلى عصر التفسير، فالطبري الذي عاش في القرن التاسع يختلف عن محمد أسد المولود في القرن العشرين(١٢).

ثم إن البَصَرَ بالسُنّة والحديث لازمٌ أشدَّ اللزوم، فما كان النبي ـ ﷺ ـ ينطق عن الهوى، فأقواله وأفعاله وإثباته لقولٍ أو فعلٍ أو إنكاره لهما، على درجة كبيرة من الأهمية لفهم الإسلام والقرآن. لقد كان محمد الإنسانُ الرجلُ بشراً، بلغ من استواء الشخصية والشفافية والصفاء والأمانة، والوعي والفطنة أعلى مقام، ثم إنه كان موهوباً آتاه اللّه الحكمة والنبوة وجوامع الكلم(١٣)، ولا أدل على استواء شخصيته، وتوافر تلك الصفات في شخصه الكريم، من شكّه شخصياً أن يكون الإنسانَ المختارَ المكلفَ بأداء الأمانة وإبلاغ الرسالة على أكمل وجه، كما أمره اللّه... ولقد عَلِمْنا أن القرآن يراه المثل الأعلى البشري أو القدوةَ الحسنة، أو كما وصفه ربه ﴿**لقد كان لكم في رسول اللّه أسوة حسنة لمن كان يرجو اللّه واليوم الآخر، وذكر اللّه كثيراً**﴾ (الأحزاب، الآية ٢١)، فأمر بطاعته، والسير على سنّته.

لا ضير إذن أن نرى المقتدين بسنّته ـ ﷺ ـ يسعون جاهدين إلى التزام هذه السنّة حتى في المظاهر الخارجية (فيقصّون الشوارب ويَعفُون اللحى، ويستعملون السّواك، ويفضّلون العسل... وغير ذلك من المعروف عن طباع الرسول في سيرته)، كذلك حرصهم على الختان الذي لم يذكره القرآن، فقد عرفه إبراهيم وذكره العهد القديم، والمسلمون، مهما كان مذهبهم، متبعون لهذه السنّة الحميدة.

المأساة أن بعض الدوائر والحلقات قد بالغ في تبجيل الرسول وتوقيره مبالغة زادت عن الحد، فانقلبت إلى الضد، وخرج ذلك على المقبول المعقول شرعاً، فأصبح المصطفى، خاصة إبّان المولد النبوي، يُحتفى به، كما يحتفل النصارى بميلاد عيسى، مما يدعو إلى الظن بأن هذه الظاهرة بدعة أخذها المبالغون في الاحتفاء بشخصية الرسول، إبان المولد النبوي وغيره، عن المسيحية.

تلك الهالة من التقديس تجعلنا نذكّر بإصرار أن محمداً عليه الصلاة والسلام كان بشراً، خاشعاً متواضعاً، لا يخجل أن يؤكد أنه أُمّيّ لم يتعلم الكتابة والقراءة، ويكرر هذا في ليلة القدر في غار حراء، ردًّا على قول جبريل له ﴿اقرأ!﴾، ولئن كان هذا واحداً من أسباب عظمة الرسول، فإن العجب ممن يحيطه بهالة من التقديس الذي هو في غنًى عنه، فيجعله النور الأزلي، الموجود قبل خلق الخلق، الذي لم يخطىء قط حتى قبل مبعثه، وهكذا يحيطه بعضهم بالأساطير مثل أسطورة النور المحمدي (نور محمد)[١٤].

إن دراسة كتب الحديث دراسة واعية، تلك الكتب التي صنفت استناداً إلى علم الرواية والدراية بالحديث ومصطلحاته، هي التي تمكن المسلمَ، وغيرَ المسلم الذي يطلب الموضوعية، من الإحاطة السليمة بتعاليم الإسلام وأخلاقياته، والأصول والفروع المرتبطة بتلك التعاليم... يلي ذلك تطبيق السنّة النبوية تطبيقاً صحيحاً، فإن هذا التطبيق هو الذي يخلق الإنسانَ المسلمَ المتميز عن سواه، والحضارةَ الإسلامية المتميزة، خلقاً جديداً[١٥].

ولا تسمح رقعة هذا الكتاب المحدودة، بالإسهاب في إبراز ملامح ذلك العالم الإسلامي، والأهم من ذلك أن نستخلص الفروق الرئيسة الوثيقة الصلة بالموضوع، والتي تميز شخصية المسلم، وشخصية المسيحي الغربي ومفهومَ كل منهما اليوم للتقاليد والعادات والأخلاق، وذلك ليعرف كل منهما الآخر.

وعلى الرغم من اتفاق كليهما في كثير من المبادىء الخلقية، والصفات الحميدة، مثل الأخوة والوفاء والأمانة، والتعاطف، والأريحية والسماحة، وكتمان السر وغير ذلك، فإنني أقع على ستة فروق رئيسة تفصل بينهما:

١ ـــ يعيش المسلم في عالمه الذي لا يوجد فيه نظام القساوسة الكاثوليك الإكليريكي (الإكليروس) ولا نظام التدرج الوظيفي في مراتب القساوسة الصارم، ولا يتخذ وسيطاً أو شفيعاً مهما علا قدره عند الصلاة أو الدعاء، بينما يتوسل المسيحي بعيسى ومريم أو الروح القدس أو غير ذلك من القديسين عندما يتضرع أو يبتهل أو يصلي، فالمسلم في هذا حر متحرر لا يتوسل بغير اللّه إلى اللّه، ولا تشوب عبادَتَهُ طقوسٌ أو شعائرُ غامضةٌ... هذه البيئة أقرب إلى طبيعة الإنسان الراشد العاقل من المناخ المألوف في الكنيستين البيزنطية والكاثوليكية، والذي يقوم على شعائر دينية وأسرار «كهنوتية» يباشرها رجل الدين المسيحي، لينال الماثل أمامه المسيحي بركاتِ الرب... .

٢ ـــ يحرص الإسلام على السلامة العامة لكافة أفراد المجتمع، وذلك بتحريمه المطلق للحم الخنزير، والخمور والمسكرات، والمخدرات أيًّا كان نوعها، ويلح في الوقت نفسه على المسؤولية التامة لمن يسيء تعاطي العقاقير السامة أو نحوها من مواد الإدمان، بدلاً من استخدامها في التداوي من الأمراض وشؤون الطب المشروعة. كذلك، فإن الانتظام في أداء الصلوات المفروضة، في مواقيتها المشروعة، في خشوع وتأمل، يتيح تخفيف حدة التوتر والإجهاد اليومي، فيعود ذلك بالخير على الفرد والمجتمع، وهذا لا يتأتّى بأداء قدّاس الأحد أو بابتهال الصباح القصير سواء كان المبتهل وحده أو مع جماعة من المبتهلين المسيحيين.

٣ ـــ يبيح الإسلام العلاقة الجنسية المشروعة بين الرجل والمرأة، ويوصي بها ليتمتع الإنسان، الذكر والأنثى بممارسة هذا الحق الطبيعي، وبدون تحفظ على العكس من التصوير «الشيطاني» للعلاقة الجنسية المشروعة بين الرجل والمرأة في كتابات «بولس الرسول» الواردة بالإنجيل الحالي، والتي تشين الزواج افتراءً وتمدحُ العزوبيةَ، داعيةً إلى الرهبانية، والتي تسببت للكاثوليك في كثير من الآلام والمعاناة، والعقد الجنسية، والشعور بالذنب وغير ذلك من المشكلات... هذا الحظر وتشويه النظرة إلى الجنس تسببتا كذلك في رد الفعل الرافض لرسالة بولس الرسول بشأن الجنس، والذي يبدو واضحاً في الانحلال الخلقي والإباحية

الجنسية التي لا ترعوي مكتسحةً العالم الغربي، ولا ينساق الإسلام خلف الغرب في التردي في هذه الوهدة الوخيمة العواقب.

هذه الرزانة الحكيمة في الإسلام مردّها إلى رؤيته المغايرة للغرب، لدور الذكر والأنثى، استناداً إلى طبيعة كل منهما، مع الإقناع التام أن الخروج على الطبيعة والإخلال بنواميسها، لا يمكن أن يترك سدى، فيحيا البشر دون عقاب متمثل في المحن والكوارث (قارن فصل المرأة والمجتمع، وفصل: الشرق المحجب في هذا الكتاب).

٤ ــ إن وصية المسيحية أن يحب الإنسانُ الغيرَ كحبه لنفسه عسيرٌ التزامها، بل إن المسيحي العادي لا يستطيع أن يلتزم بها، بل إنها عبء ثقيل عليه ينوء ضميره بِحَمْلِهِ، تماماً كالعبء الذي يرزح تحته المسيحي المؤمن الذي عليه أن يلتزم بنظرة بولس الرسول للجنس.

تحت هذه الأعباء النفسية تقوى لدى المسيحي الناحية السلبية بما لها من عواقب نفسية وخيمة للتعاليم المعروفة مثل الخطيئة الأصلية الموروثة، ويمكن استغلال هذه الناحية استغلالاً سيئاً يتلاعب بأحاسيس الجماهير بإشعارها بالذنب واستحقاقها تحمل العقاب أو التكفير.

على العكس من هذا نجد الإسلام يتبع الصراط المستقيم، الصراط الوسط، الذي ليس من اليسير أداء بعض فرائضه (مثل صلاة الفجر والصوم) لكن أداء هذه الفرائض وأمثالها، في حدود الإمكان البشري المعتاد. فضلاً عن ذلك لا يكتب الإسلام على المسلم أو حتى يعلمه أن عليه أن يعتبر نفسه مذنباً يتحمل الخطيئة الأصلية، وأن عليه التماس الخلاص الذي ينجيه. إن علم النفس الجمعي يَعْرِفُ العواقب التي يمكن أن تنشأ عن الأعراض المتزامنة المتلازمة المركَّبَةِ «للخلاص».

٥ ــ إن نظرة المسلمين للوضع الاقتصادي وبالتالي للعمل نظرةٌ اجتماعية سليمة، وليست في المقام الأول نظرةً نابعةً من الاقتصادية المستهدفة أعلى منفعية وأعلى ربحاً، بذا يمكن أن تصبح تصويباً للمسارات الخاطئة أو غير المستقيمة في المجتمعات الصناعية (انظر فصل: التسويق الإسلامي).

٦ ـــ أخيراً، يتعين أو ينبغي على المسلمين أن يكونوا قدوة حسنة في التسامح في علاقاتهم مع غير المسلمين والحُكْم أو النظامِ غيرِ الإسلامي، القائم على الفصل بين الدين والدنيا أو العلماني ـ كما في المجتمع المتعدد الأجناس والثقافات والحضارات والمَنازع الفلسفية التي ترى التعددية الممكنة في رؤية كل منها للحقيقة ـ حتى ولو اقتصر مفهوم السعادة لدى هذا المجتمع (التعددي) على النعيم والتنعم في هذه الحياة الدنيا، أي على الأرض، فقط.. (انظر فصل: التسامح أم العنف؟!)، على الأقل انطلاقاً من السورة رقم ١٠٩، والتي نرى أن على كل إنسان ـ مهما كان مذهبه ـ سواء اليهودي والمسيحي والمسلم والملحد والفيلسوف (اللاأدري) وكذلك مؤلف هذا الكتاب، أن يعلقها على الحائط فوق مكتبه ويَعِيَهَا قبل دراستِه المقارنَةِ لأي نظام، وهي: ﴿**قل. يا أيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون. ولا أنتم عابدون ما أعبد. ولا أنا عابد ما عبدتم. ولا أنتم عابدون ما أعبد. لكم دينكم، ولـيَ دين**﴾ صدق اللّه العظيم.

obeikandl.com

الملاحظات الهامشية للمؤلف:

(١) كَوْنُ اللّه سبحانه أقربَ إلينا من حبل الوريد (كما يؤخذ ذلك من الآية الكريمة رقم ١٦ من سورة ق) لا ينبغي أن يفهم على أن ذلك نوع من الحلولية المضللة التي تدعي وحدة الوجود حيث يتحد الوجود والواجد أو اللّه والطبيعة، فيكون الإنسان مثلاً والكون المادي مظاهر للذات الإلهية (حاشا للّه)، وينسحب ذلك كذلك على آية الكرسي (البقرة: ٢٥٥)، فلا يسيئنّ أحد في هذه الآيات البيّنات وأمثالها.

(٢) الآية الكريمة ١٠٦ من سورة البقرة **﴿ما ننسخ من آية أو نُنسِها نأت بخير منها أو مثلها، ألم تعلم أن اللّه على كل شيء قدير﴾** يمكن، كما يرى جمهور المفسرين، ألا تشير إلى مناسبة تاريخية أو إلى مسألة غيبية معينة، وأنا أذهب مذهب أخي (المسلم النمساوي) محمد أسد الذي يرى أن الآية هنا لا تعني هذا النسق المعين من الكلم الذي تنقسم إليه كل سورة من سور القرآن، وإنما الآية هنا تعني رسالة بيّنة... أو أنها نَسْخٌ بالمعنى الحرفي لِما نَزَلَ من آيات قبل الإسلام، وليس بمعنى «أحسن أو خيراً من آيات أخرى» نزلت في عصرٍ أوْ وقتٍ واحد، فهذا شيء لا يخطر على بال، ولا يقرّه عقل: قارن محمد أسد: رسالة القرآن، جبل طارق ١٩٨٠، ملاحظة هامشية رقم ٨٧ للآية (١٠٦ من سورة البقرة)، كذلك محمود أيوب: القرآن ومفسروه، المجلد الأول، والألباني، ط ١٩٨٤، ص ٢٣٨، والواقع أنه إذا كانت في القرآن آيات ظاهرها اختلاف تنظيم أمر أو مسألة من المسائل والأحكام، فإنه يطبق في هذه الحالة القانون الخاص لا العام، حتى وإن كان تنزيل القانون أو الحكم العام تأخر عن تنزيل الخاص، قارن في هذا الصدد التحريم الحكيم الناجع للخمر في كتاب المستشرق أ.د. هلموت جيتيه: القرآن والتأويل، مطبعة أرتميس عام ١٩٧١ الصفحة: ٢٦٤ وما بعدها.

(٣) السلام والإسلام في مجلة: الفكر والحياة عام ١٩٨٣، العدد: ١٤٥/٢.

(٤) القرآن الكريم، سورة النساء، الآية: ١٣٦، وسورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

(٥) فيما يتعلق بتاريخ القرآن يمكن الرجوع إلى: أحمد فون دنفر: علوم القرآن: مقدمة لعلوم القرآن طبع لايكستر ١٩٨٣، كذلك: محمد طالبي: تأملات في القرآن، باريس ١٩٨٩، وكذلك: باول شفارتز ناو: علوم القرآن للمسيحيين، الطبعة الثانية، هامبورج ١٩٩٠، ولمعرفة وجهة نظر المستشرقين في القرآن قارن: أ.د. رودي باريت: محمد والقرآن، ط شتوتجارت عام ١٩٨٥.

(٦) مقالة أحمد فون دنفر: الإسلام وجوته في مجلة الإسلام، ميونيخ ١٩٩٠، الأعداد ١ ـ ٤، وكذلك أحمد شميده: جوته والإسلام في مجلة الإسلام ١٩٨٢، عدد (٦) ص ١٥، وكذلك ترجمة فريدريش ريكرت لمعظم القرآن في نظم شعري مقفّى عبقري، ط ١٨٨٨ وطبعة طبق الأصل لها عام ١٩٨٠ في هلدس هايم. أما أن البسملة مكتوبة بخط اليد عام ١٧٥٥ على شهادة دكتوراه الفيلسوف كانت، فإن هذا لُغْزٌ حَيَّر الباحثين، قارن أحمد فون دنفر في مقالة «المفكرون الألمان والإسلام»، مجلة الإسلام عام ١٩٨٥، عدد (٢) ص ٢٠.

(٧) موريس بوكاي: الإنجيل والقرآن والعلم، ط ميونيخ ١٩٨٤.

(٨) أرفق محمد حميد الله بترجمته للقرآن الكريم قائمةً من أربعين صفحة تحتوي على الترجمات التي صدرت في مختلف اللغات للقرآن: قارن القرآن الحكيم الترجمة الفرنسية، الطبعة الثالثة عشرة عام ١٩٨٥، ص ٦٠ وما بعدها (بالترقيم الروماني). أما أول ترجمة للقرآن إلى الألمانية

فقد أنجزها عام ١٦١٦ سالمون شفاييج جرن عن أصل إيطالي، واليوم نجد بين أيدينا أكثر من اثنتين وعشرين ترجمة ألمانية تامة للقرآن، على أن ترجمةً واحدة منها فقط قام بها مسلم سني ألماني (مصري) هو محمد رسول، الترجمة التقريبية لمعاني القرآن الكريم، الطبعة الثالثة، كولونيا ١٩٨٨، وقد بدأ اللاهوتي اللبناني عادل الخوري في إصدار أطول ترجمة ألمانية للقرآن مع التعليق عليها، انظر: المجلد الأول جيترزلوه عام ١٩٩٠، وانظر كذلك ترجمته للقرآن بالاشتراك مع (المسلم اليوغسلافي الأصل) محمد سالم عبد الله في جيترزلوه ١٩٨٧.

(٩) حول تقسيمها القومي طبقاً لحولية دائرة المعارف البريطانية: ارجع إلى مجلة الإسلام عام ١٩٨٢، العدد: ٥/٤ ص ٩ وما بعدها.

(١٠) سوزان ماير: السلاح السحري المعجز، جريدة الوقت (دي تسايت) بتاريخ ١٥ فبراير ١٩٩١.

(١١) أَلَمَّ بهذه النقطة محمد صرطي في كتابه: نظرة عامة في كتب التفسير ومصادره العربية في مجلة: تقييم الكتب الصادرة في العالم الإسلامي: لايكستر ١٩٨٧، العدد (٤) ص ٥١ وما بعدها، وبالفرنسية: رباح استامبوللي: تعليق على التفاسير في مجلة المجاهد بتاريخ ٣٠ مارس، وكذلك ١ إلى ٤ أبريل عام ١٩٩٠.

(١٢) تفسير القرآن للطبري، المجلد الأول، أكسفورد ١٩٨٧، حاشية رقم (٢) لمحمد أسد.

(١٣) حول شخصية محمد ﷺ ارجع إلى كتب السيرة: محمد بن إسحاق، ط تيبنجن ١٩٧٦، ابن إسحاق/ ابن هشام ط أكسفورد ١٩٥٥، مارتين لنجز: محمد: نيويورك ١٩٨١، وفرجيل جورجيو: حياة محمد (بالفرنسية) باريس ١٩٧٠، وإميل درمنجهام: محمد ط راينبك ١٩٩٠.

(١٤) أنا ماري شِمِل: (ومحمدٌ رسولُه)، ط كولونيا ١٩٨١.

(١٥) أهم كتاب الصحاح: صحيح البخاري وصحيح مسلم، وهما مترجمان للفرنسية والإنجليزية، ٩ مجلدات طبع شيكاغو ١٩٧٦، و ٤ مجلدات طبع لاهور ١٩٧٦، أما بالنسبة لأخذ صورة شاملة عن الإسلام فأشير بالاطلاع على رسالة ابن تيمية في أصول الإيمان طبع الواسطية وباريس ١٩٨٦، بتحقيق الفرنسي هنري لاوست، ورسالة التوحيد للإمام محمد عبده باريس ١٩٢٥، ومحمد حميد الله: الإسلام، جنيف ١٩٦٨ م.